

## البلاغة والمناهج النقدية الحديثة

### "الاستعارة" أنموذجاً

الأستاذة: نادية ويدير/جامعة تيزي وزو

تُعدّ البلاغة العلم القديم الجديد الذي عرفته الإنسانية منذ اليونان إلى عصرنا هذا. وقد مرّت البلاغة بمرحلتين: المرحلة الكلاسيكية أو التقليدية حيث كانت البلاغة معيارية تعليمية تهتم بدراسة الصّور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، ودراسة علم المعاني من خبر وإنشاء و..، واستعراض علم البديع من سجع وجناس وطباق ومقابلة و..، وعليه تزوّد الخطيب أو المبدع بمجموعة من الأدوات والتقنيات والآليات الإجرائية في الفصاحة والبلاغة والبيان ليتبوأ مكانة سامية في فن القول والكتابة والإنشاء. ومع منتصف القرن العشرين تطوّرت البلاغة وانتقلت من طابعها التعليمي إلى طابعها العلمي والوصفي خاصة بعد ما استفاد الدرس البلاغي من معطيات جديدة أفرزتها المناهج النقدية الحديثة التي جاءت عقب الثورة اللسانية التي أحدثها فرديناند دي سوسور، حيث استثمر أصحاب البلاغة الجديدة زخما من المفاهيم والإجراءات المستقاة من مجالات متعدّدة منها: تحليل الخطاب، السيميائيات، التداوليّة، نظرية القراءة، التفكيكية، ممّا جعل هذه البلاغة الجديدة لا تقتصر على دراسة الصّور في الخطابات الأدبيّة، بل تعدّت ذلك إلى الاهتمام بالصّور في سائر الخطابات الفلسفية والأخلاقية والسياسية والعلمية، وأكثر من ذلك أصبح الحديث عن بلاغة علميّة ووصفيّة تبحث في الملفوظ البلاغي بنية ودلالة ووظيفة وتواصلًا وتصنيفاً، وقد اتّخذت هذه البلاغة الجديدة اتجاهات مختلفة ومتنوّعة، منها بلاغة سيميائيّة تهتم بدراسة الآليات البلاغية في حقل السيميائيات، وبلاغة تداوليّة تسلط الضّوء على الآليات البلاغية من حيث هي مظاهر تداولية. من هذا المنطلق سيُعالج مقالنا هذا موضوع البلاغة الجديدة وعلاقتها بالمناهج النقدية الحديثة، لذلك سنحاول تسليط الضّوء على المحور الثالث الموسوم: البلاغة والمناهج النقدية الحديثة، وتحديدًا في شقّيه: البلاغة والسيميائيّة، والبلاغة والتداوليّة.

من بين الآليات البلاغية التي اخترناها لمعالجة فكرة الموضوع الاستعارة التي تُعدّ قاسماً مشتركاً بين البلاغة والحقول المعرفية الأخرى، وذلك لما حظي هذا المفهوم - الاستعارة - باهتمام ودراسة من جهات نظر مختلفة: فلسفية، ولسانية، وجمالية ونفسية<sup>1</sup>، وسيميائية، وتداولية، وتفكيكية، وتأويلية... إلخ.

ومن بين المفكرين والدارسين الذين اهتموا بالبلاغة والمناهج النقدية الحديثة في مؤلفاتهم انصب اختيارنا على الناقد الإيطالي أمبرتو إيكو وذلك للأسباب الآتية ذكرها:

- يتميز بفكر موسوعي يجمع بين البلاغة والحقول المعرفية الأخرى: فلسفة اللغة، البلاغة، البنيوية، السيميائيات، التداولية، التأويل، التفكيكية.

- تتوفر مؤلفاته على آراء حول البلاغتين التقليدية والجديدة.

- تتضح من خلال دراسته للآليات البلاغية معالم البلاغة الجديدة.

- تجمع مؤلفاته بين البلاغة والمناهج النقدية الحديثة.

- نظر إلى الاستعارة من زوايا مختلفة: بلاغية، سيميائية، تداولية، تأويلية، تفكيكية.

تنبثق إشكالية هذا المقال، وتبرز بشكل أساسي من خلال مجموعة من الأسئلة تفرضها فكرة الموضوع وهي:

- كيف نظرت البلاغة الجديدة إلى الاستعارة؟

- كيف نظرت السيميائيات إلى الاستعارة؟

- كيف نظرت التداولية إلى الاستعارة؟

- كيف استثمرت البلاغة الجديدة مفاهيم من مجال السيميائية والتداول في دراسة الاستعارة؟

وسيتيم الإجابة عن إشكالية الموضوع ضمن ثلاثة أفكار أساسية هي:

---

<sup>1</sup>- يُنظر: رشيد الإدريسي، سيميائية التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، المدارس للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء 2000، ص.44.

- الفكرة الأولى: البلاغة الجديدة والاستعارة.

- الفكرة الثانية: السيميائيات والاستعارة.

- الفكرة الثالثة: التداولية والاستعارة.

## 1- البلاغة الجديدة والاستعارة:

يؤمن أمبرتو إيكو بأنّ الاستعارة هي أحسن الصّور البيانيّة وأفضلها على الإطلاق حيث يضع الباحث الاستعارة على قائمة الصّور البيانيّة لأنّها تغطّي -حسبه- النّشاط البلاغي بكلّ تشعباته، ويتّضح ذلك في قوله: "إنّ الحديث عن الاستعارة يعني الحديث عن النّشاط البلاغي بكل ما فيه من تعقيد"<sup>2</sup>، وذلك نظراً للعلاقات التي تجمع بين الاستعارة والوجوه البيانيّة الأخرى، إذ لا يمكن الحديث عن الاستعارة دون الحديث عن التّشبيه أو المجاز أو الكناية، كما يعني الحديث عن الاستعارة عند إيكو أيضاً، على أقلّ تقدير (والقائمة ليست كاملة) حديثاً عن الرّمز وعن الفكرة والأنموذج الأصلي والحلم والرغبة والهديان والطّقس والأسطورة والسّحر والإبداع والمثال والأيقونة والتّمثيل، واللّغة والعلامة والمدلول والمعنى<sup>3</sup>، وهذا يعني أنّ الاستعارة من المنظور البلاغي الجديد قد اكتسحت مجالات دراسيّة واسعة، سواء في المجالات العلميّة، أو في مجال العلوم الإنسانيّة بمختلف فروعها كعلم النّفس والأنثروبولوجيا.

ينطلق إيكو في دراسته للاستعارة من فكرتين: فكرة أفضليّة الاستعارة وفكرة شموليّتها، فأفضليّة الاستعارة تكمن في أنّها "ألمع الصّور البيانيّة، ولأنّها ألمعها فهي أكثرها ضرورة وكثافة"<sup>4</sup>، أمّا شموليّتها فتكمن في أنّ "اللّغة بطبيعتها، وفي الأصل استعارية، إذ تؤسّس الآليّة الاستعارية النّشاط اللّغوي، وكلّ قاعدة أو مواضع لاحقة تولد بقصد تحديد الثّراء الاستعاري"<sup>5</sup>، ويندرج تحت فكرة شمولية الاستعارة وتغلغلها في اللّغة -عند إيكو- مفهومين اثنين، الأوّل أنّ اللّغة «وكل نظام سيميائي آخر» آليّة تقوم على المواضع وعلى قواعد، فهي آلة تقديريّة تحدّد ما يمكن إنشاؤه من جمل وما لا يمكن من ذلك، كما تحدّد ما يمكن اعتباره من بين الجمل الممكن إنشاؤها «حسناً» أو «صحيحاً»، أو محملاً بمعنى، وتمثّل

<sup>2</sup>- أمبرتو إيكو، السيميائيّة وفلسفة اللّغة ، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت 2005، ص.234.

<sup>3</sup>- يُنظر: م. ن، ص.235.

<sup>4</sup>- أمبرتو إيكو، السيميائيّة وفلسفة اللّغة، ص.233.

<sup>5</sup>- م. ن، ص.235.

الاستعارة في هذه الآلة «اللغة» الرّجة، أو العطب الذي يصيب هذه الآلة؛ والثاني أنّ اللغة تعدّ محرّك التّجديد<sup>6</sup>، ومن ثمّ فهي فضاء واسع للإبداع.

كما يرى إيكو أنّ الاستعارة لا تقيم تماثلاً بين المرجعيات التي يحيل عليها المستعار منه والمستعار له، بل يشمل التّماثل بالدرّجة الأولى سمتين أو خاصيتين دلّليتين في طرفي الاستعارة، بمعنى أنّ هذه الخصائص يشار إليها بنفس المؤلّة التي توجد بينهما، وسبب ذلك هو أنّ فهم الاستعارة لا يتطلّب الرّجوع إلى الأشياء كما هي موجودة في العالم وإدراكها إدراكاً حسّياً، بل يتطلّب الرّجوع إلى محتويات التّعبير المشكّلة للاستعارة، أي الرّجوع إلى المؤلّات المخترنة في الموسوعة التّقافيّة للقارئ<sup>7</sup>.

تتحقّق الاستعارة عند إيكو حينما تصير إحدى الوجدتين الدّلاليتين «اللّتين تكوّنانها» تعبيراً عن الأخرى، وذلك بفضل إدغام محقّق في خاصيّة واحدة على الأقلّ ممّا تعوزه إحداها بصورة مشتركة، وإن كانت الحال كذلك، تكون الاستعارة محاولة «بناء» على قاعدة تركيبية من الخاصيّات، إذ يسمي إيكو كيان س «ذات الخاصيّات أ، ب، ج» من خلال إبدالها الكيان ل «ذات الخاصيّة ج، د، هـ»، وذلك بإدغام الخاصيّة ج، وعلى هذا النّحو يقترح نوعاً من وحدة معجميّة غير مسبوقة وقد اكتسبت خاصيّات أ، ب، ج، د، هـ<sup>8</sup>، وهذا ما يوضّح التّوجّه التّفاعلي للاستعارة عند هذا الدارس. وعلاوة على التّوجه التّفاعلي للاستعارة يرى الباحث كذلك أنّ الاستعارة وسيلة لتقديم المعرفة وليست فقط وسيلة لتميق النّصوص وتجميلها، وهذا ما قالت به البلاغة الجديدة.

فعلى عكس البلاغة الكلاسيكية التي تعتبر الاستعارة حالة استثنائية في اللّغة وانزياح عن المعيار أو القاعدة، تكتسب الاستعارة في البلاغة الجديدة وظيفة معرفية، ويتأكّد ذلك في قول إيكو: "لا تهمنّا الاستعارة باعتبارها زخرفاً، لأنّها لو كانت زخرفاً فقط «أي أنّ نقول بعبارات جميلة ما يمكن قوله بطريقة أخرى» لكان بالإمكان تماماً تفسيرها بعبارات نظرية الدّلالة الصريحة، بل إنّها تهمنّا باعتبارها أداة المعرفة الإضافية وليس الاستبدالية"<sup>9</sup>. وتظهر الوظيفة المعرفيّة للاستعارة - حسب رأينا- في تغطية جانب النّقص الذي تنزّكه اللّغة في حياة البشر، ويتجلّى ذلك من خلال الاستعارات الاضطرارية أو الميتة التي يعجز

<sup>6</sup>- يُنظر: م. ن ، ص.ص.235-236.

<sup>7</sup>- يُنظر: رشيد الإدريسي، سيمياء التّأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، ص.45.

<sup>8</sup>- يُنظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التّعاوض التّأويلي في النّصوص الحكائيّة)، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز التّقافي العربي، ط1، الدار البيضاء 1996، ص.199.

<sup>9</sup>- أمبرتو إيكو، السيميائيّة وفلسفة اللّغة، ص.237.

الفكر البشري على إيجاد مسميات لها، من مثل: رجل الكرسي، عنق الرّجاجة، رجل المائدة، وذلك لأنّ اللّغة مهما تطوّرت تبقى عاجزة عن استيعاب الفكر، لذلك يقول إيكو: "تخلق اللّغة استعارات حتى خارج الشّعْر، وذلك لضرورة تسمية الأشياء"<sup>10</sup>، فتسمية الأشياء هي التي تحقّق التّواصل بين البشر، وعليه يمكن القول بأهمية الاستعارة في حياة الإنسان، فالاستعارة ليست علامة من علامات العبقرية عند الإنسان، ولا هي صفة من صفات أسلوبه السّامي والعظيم، بقدر ما تدل على أنّه حيوان استعاري، لأنّه يحيا بالاستعارة<sup>11</sup> على حد تعبير لا يكوف وجونسون.

علاوة على رأي إيكو في هذا الموضوع يبيّن لايكوف وجونسون من جهتهما كيف تلعب الاستعارة الدور الأساسي في حياة الفرد، إلى درجة أنّه يحيا بها، فالاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، إنّها ليست مقتصرة على اللّغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضاً حيث أنّ النّسق التّصوّري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس يعمل من خلالها على نقل حقائق الكون، لكن الاستعارة عند لايكوف وجونسون لا تعمل على نقل الحقائق الكونية لأنّها في حد ذاتها حقيقة، ومردّد ذلك إلى أنّ جزءاً هاماً من تجاربنا وسلوكنا وانفعالاتنا استعاري من حيث طبيعته، وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ نسقنا التّصوّري يكون مبنياً جزئياً بواسطة الاستعارة، وبهذا لن تكون الاستعارات تعابير مشتقة من «حقائق» أصلية، بل تكون هي نفسها عبارة عن «حقائق» بصدد الفكر البشري والنّسق التّصوّري البشري، الذي تعدّ اللّغة مصدراً مهما للبرهنة على الكيفية التي يشتغل بها<sup>12</sup> في نقل الواقع وتصويره تصويراً تخيلياً. وقد عمل البعد المعرفي الذي أضفاه لايكوف وجونسون على اعتبار الاستعارة وسيلة معرفية فاعليتها شأن فاعليّة التّجارب الإنسانية الأخرى، إذ تعدّ الاستعارة في البعد المعرفي وسيط مهم بين الدّهن البشري وما يحيط به من كائنات حية وغير حية، فبواسطتها يفسّر الملتبس والمبهم، وتتجاوز كثير من العراقيل التّواصلية.

## 2- السيميائيات والاستعارة:

<sup>10</sup> - م. ن، ص. 264.

<sup>11</sup> - يُنظر: عمر أوكان، اللّغة والخطاب، أفريقيا الشرق، الرباط 2000، ص. 132.

<sup>12</sup> - جورج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد الحميد جحفة، دار توبقال للنشر، ط1، الرباط 1996، ص. 21.

يشير أمبرتو إيكو إلى أن الاستعارة و"بالخصوص عندما يقع درسها في مجال اللّغة، تعطي شعورا بالفضيحة في جميع الدّراسات اللّسانية، لأنّها بالفعل آليّة سيميائية تتجلّى في جميع أنظمة العلامات، ولكن على نحو يحيل التّفكير اللّغوي إلى آليات سيميائية، ليست من طبيعة اللّغة المستعملة في الكلام، ويكفي أن نفكر في طبيعة صور الحلم، التي غالبا ما تكون استعارية"<sup>13</sup>.

يؤكد إيكو من خلال عبارته السّالف ذكرها أنّ الاستعارة -باعتبارها علامة لغوية- آليّة سيميائية تحلّل دراستها مجالا واسعا في الاشتغال السيميائي؛ حيث تنظر السيميائيات إلى اللّغة على أنّها مجموعة من العلامات والإشارات، ولعلّ التّعامل مع اللّغة كعلامة كبرى تنطوي تحتها أنظمة أخرى من العلامات، يجعل منها نظام علامي قادر على استعاب مختلف الأنظمة العلامية الأخرى والتّعبير عنها تعبيرا تداوليا أو (تواصليا)، فلا غرابة إذن في أن ينظر إلى اللّغة كاستعارة كبرى في التّفكير السيميائي الحديث، ذلك لأنّ اللّغة هي النّظام السيميائي الوحيد القادر على الاستعارة لأنظمة لا تعبّر عن نفسها بطريقة مباشرة، فهي علامات مجردة تومئ بدلالاتها، فتتصهر في اللّغة التي تعبّر عنها وتستعير لها<sup>14</sup>، وهذا ما يؤكّده إيكو الذي يرى أنّ اللّغة بطبيعتها وفي الأصل استعارية<sup>15</sup>.

تشكّل الاستعارة ميدانا للعلامة لأنّ اللّغة فيها من درجة ثانية، أي درجة مجازية، وفي هذا الصّد يقول إيكو: "اللّغة لا تشتمل إلا على المجازات فهي تبدي عكس ما تخفي، فبقدر ما تكون غامضة ومتعددة، بقدر ما تكون غنية بالرموز والاستعارات"<sup>16</sup>، حيث تحتاج اللّغة المجازية أن ينظر إليها من منظور سيميائي، يبحث فيما تخفي هذه اللّغة من دلالات عميقة، حيث لا نكتفي في دراسة الاستعارة بالمعنى، بل نتعداه إلى معنى المعنى أي الدّلالة وذلك تحديدا ما تقوم به السيميائيات، وها هنا يبدو أنّه لا مناص من توضيح الفرق بين المعنى والدّلالة، فالمعنى هو معطى مباشر سابق، ملازم للعلامة اللّغوية،

<sup>13</sup>- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللّغة، ص.236.

<sup>14</sup>- يُنظر: حسين خالفي، نسقية اللّغة ولا محدودية الدّلالة، مقالة في مجلة الخطاب (دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللّغة والأدب)، ع2، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري، تيزي وزو 2007، ص.333.

<sup>15</sup>- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللّغة، ص.235.

<sup>16</sup>- أمبرتو إيكو، التّأويل بين السيميائيات والتّفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط 2000، ص.ص.14-15.

وهو مدلولها الثابت نسبياً، في حين أنّ الدلالة هي المعاني غير المعطاة بشكل مباشر، أي هي معاني ثانية، أو دلالات مصدرها الثقافة والتاريخ، وهي دلالات يتم الحصول عليها من خلال تنشيط ذاكرة الواقعة، والدفع بها إلى تسليم كل دلالاتها<sup>17</sup>، أي جميع التؤوليات التي يوقرها المؤول لهذه العلامة من مصادر مختلفة. والحديث عن المؤول هو لا شك حديث عن الأطراف الثلاثة المشكّلة للاستعارة باعتبارها علامة سيميائية، ويعدّ المؤول أحد هذه الأطراف إلى جانب الممثل والموضوع، ولقد ورد هذا في تعريف العلامة عند شارل سندرس بورس (charles sanders peirce).

خصّص بورس تعريفاً للعلامة يرى فيه أنّ العلامة أو الممثل هي شيء ينوب بالنسبة لشخص ما عن شيء معيّن، بموجب علاقة ما أو بوجه من الوجوه، إنّه يتوجه إلى شخص ما، أي يخلق في ذهن هذا الشخص علامة معادلة أو ربما علامة أكثر تطوراً، وهذه العلامة التي يخلقها يسميها بورس مؤولاً للعلامة الأولى، هذه العلامة تنوب عن موضوعها، إنّها لا تنوب عن هذا الموضوع تحت أية علاقة كانت، ولكن بالرجوع إلى فكرة أسماها بورس مرتكز الممثل<sup>18</sup>، وقد ولّد هذا التعريف، المفهوم العلائقي الثلاثي للعلامة، وهو الأساس الذي ينظر من خلاله للاستعارة كعلامة ثلاثية الحدود (ممثل، موضوع، مؤول)، إذ لا يعتبر بورس "العلامة وحدة تقصد لذاتها، بل كعلاقة بين علامات جزئية «sous - signe»<sup>19</sup>. وتنشأ الدلالة في العلامة نتيجة للعلاقة الثلاثية (la relation triadique) التي تنشأ بين ثلاثة علامات فرعية تنتمي على التوالي إلى الأبعاد الثلاثة للممثل، والموضوع، والمؤول الذي يعدّ العنصر الفعّال في هذه العلاقة.

#### - الاستعارة والممثل:

يعدّ الممثل الحد الأول للاستعارة باعتبارها علامة سيميائية، حيث تبدأ عملية التحليل السيميويطيقي للاستعارة، بدءاً بالممثل الذي يحيل على موضوع الاستعارة المباشر عبر مؤولها، و«الممثل» هو الأداة

<sup>17</sup> - يُنظر: فرنسوا را ستي، المعنى بين الذاتية والموضوعية، ترجمة: سعيد بن كراد. [saidbengrad.free.fr/tra/ar/page7-10.htm](http://saidbengrad.free.fr/tra/ar/page7-10.htm)

<sup>18</sup> - يُنظر: محمد الماكري، الشكّل والخطاب، (مدخل لتحليل ظاهراتي)، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط 1991، ص.45.

<sup>19</sup> - م. ن، ص.44.

التي نستعملها في التمثيل لشيء آخر، يطلق عليه بورس «الموضوع»، وفق ظروف خاصة في الإحالة يوفّرها «المؤؤل»، باعتباره الشرط الضروري للحديث عن بناء علامي<sup>20</sup>، وتعدّد الصلّة بين ممثّل الاستعارة وموضوعها المباشر عن طريق ما أسماه بورس «التعبير»، وهو كما عرّفه إيكو: "كل الوقائع المعروفة حول هذا الموضوع"<sup>21</sup>، أي الفكرة التي تتكوّن في ذهن المتلقّي، وقد خصّص إيكو في موضع آخر من كتابه القارئ في الحكاية، تعريفاً أكثر تطوّراً للتعبير يقول فيه "التعبير هو الفكرة التي تلّدها العلامة في ذهن الشّارح، حتى لو لم نعاين وجوداً فعلياً للشّارح"<sup>22</sup>.

### - الاستعارة والموضوع:

يشكّل الموضوع الحد الثاني للاستعارة، وهو عنصر مهم في التركيب العلامي لأنّه يقدم معرفة حول العلامة، إذ يقوم الممثّل بالإحالة على هذا الموضوع عن طريق التّعبير، ممّا يعقد ربطاً وظيفياً بين العلامة والموضوع الذي تحيل عليه فعلياً، وبدون هذا الرّبط لن يكون للعلامة أيّة قيمة تقريرية ولن تكون أبداً محل إثبات له معنى<sup>23</sup>.

يمثّل الموضوع معرفة مفترضة تقدّم مجموعة من المعلومات يفترضها المتلقّي حول العلامة، غير أنّ الموضوع ليس بالضرورة شيئاً أو حدثاً أو وضعياً، بل يعني به بورس كل ما يتبادر إلى الدّهن<sup>24</sup>. لكن ما يتبادر إلى الدّهن ليس في وسعه أن يوفّر كل المعلومات المحاطة بالعلامة وذلك نتيجة لما يسميه بورس بقصور العلامة «L'imperfection du signe»<sup>25</sup>، لذلك يحتاج الموضوع دائماً إلى

<sup>20</sup>- سعيد بنكراد، المؤؤل والعلامة والتأويل، مقالة في مجلة علامات، عدد9، 1998.

<http://www.saidbengrad.com/al/n9/12.htm>.

<sup>21</sup>- يُنظر: أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي في النصوص الحكائيّة)، ص.34.

<sup>22</sup>- م. ن، ص.35.

<sup>23</sup>- يُنظر: أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء2007، ص.215.

<sup>24</sup>- يُنظر: جبراردولودال وجويل ريطوري، السيميائيّات أو نظرية العلامات (مدخل إلى سيميوطيقا شال س.بيرس)، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة النّجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء2000، ص.68.

<sup>25</sup>- سعيد بنكراد، المؤؤل والعلامة والتأويل.

مؤول، "قبما أننا مجبرون دائما، من أجل تحديد علامة، على استحضار علامة أخرى، فإنّ الموضوع لا يشكّل حدا نهائيا لمتوالية إيلاغية ما"<sup>26</sup>، لذلك فهو يحتاج دائما إلى مؤول.

يقدم الموضوع نوعين من المعرفة: المعرفة المباشرة والمعرفة غير المباشرة، والتّمييز بين نوعين من المعرفة يعني التّمييز بين نوعين من الموضوعات، حيث يرى إيكو أنّه "ثمة اختلافا بين الموضوع الذي علامته هي علامة وبين موضوع العلامة، فالأول هو الموضوع الحيوي، ويقصد به حالة من العالم الخارجي، أمّا الثّاني فبنيان سيميائي هو موضوع من العالم الجوّاني المحض"<sup>27</sup>، والفرق بين هذين الموضوعين هو كالآتي :

#### أ- الموضوع المباشر :

الموضوع المباشر (l'objet immédiate) هو المعرفة المباشرة التي تمثّلها الاستعارة، "فكل علامة أو (تمثيل) تعبّر بصفة مباشرة عن موضوع مباشر (يمكن تعريفه على أنّه مضمونها)"<sup>28</sup>، وتتمثّل هذه المعرفة المباشرة عند بورس في "معنى الدليل وهو موجود رأسا داخل الدليل ذاته"<sup>29</sup>، لكن هذه المعرفة لا توجد في كل الموضوع، إنّها في جزء منه فقط وهو شقه المباشر، كما أنّ الموضوع المباشر ليس هو كل الموضوع، بل مجرد عنصر منه لا يمكنه أن يحيل بحصر المعنى إلّا إذا كان الموضوع الكلّي معروفا مسبقا<sup>30</sup>.

#### ب- الموضوع الدينامي:

تقدّم الاستعارة معرفة غير مباشرة عن طريق موضوعها الدينامي (objet dynamique)، والمعرفة غير المباشرة، هي ما يمكن أن يدرك في الاستعارة بشكل غير مباشر، وذلك لارتباط موضوعها الدينامي

<sup>26</sup>- م. ن.

<sup>27</sup>- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاقد التّأويلي في النّصوص الحكائيّة)، ص. 51.

<sup>28</sup>- أمبرتو إيكو، السيميائيّة وفلسفة اللّغة، ص. 185.

<sup>29</sup>- محفوظ عبد اللطيف، آليات إنتاج النّص الرّوائي (نحو تصوّر سيميائي)، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2008، ص. 85.

<sup>30</sup>- يُنظر: جيراردولودال وجويل ريطوري، السيميائيّات أو نظرية العلامات (مدخل إلى سيميوطيقا شال س.بيرس)، ص. 96.

بالسياق الخارجي، حيث "يرتبط الموضوع الدينامي بسياق نصل إليه بواسطة تجربة مناسبة، ولذلك فإنه دائما يوجد خارج الدليل"<sup>31</sup>، حيث لا تمثل العلامة بل تشير إليه فقط، لهذا السبب لا يمكن الوصول إليه دون المرور بالموضوع المباشر، فالموضوع الدينامي هو الموضوع الواقعي الذي بسبب طبيعة الأشياء لا يمكن للعلامة أن تعبر عنه، وإنما تشير إليه تاركة للمؤول عملية اكتشافه عن طريق التجربة المجانية<sup>32</sup>، التي يعرفها بورس بأنها تجربة تعدّ حصيلة سيرورة سيميائية سابقة عن الفعل الذي يحقق الموضوع المباشر<sup>33</sup>. لذلك يمكن أن يكون الموضوع الدينامي عنصرا داخل ما يؤثت الكون المحسوس، ويمكن أن يكون أيضا فكرا وانفعالا وإيماءة، كما يمكن أن يكون شعورا ومعتقدا<sup>34</sup>، حيث يحتاج للوصول إليه إلى التّشب في ذاكرة العلامة<sup>35</sup>.

### - الاستعارة والمؤول:

يصرّح إيكو بأنّ "الخصوصيّة الأساسيّة للعلامة هي قدرتها على استثارة التّأويل"<sup>36</sup>، وهذا ما يحدث في الاستعارة باعتبارها علامة سيميائية يقوم حدها الثّالث بحركة نشطة تفتح باب التّأويل على مصراعيه. يعرف هذا الحد الثّالث بالمؤول وهو الحد الأكثر ديناميّة داخل البناء الثّلاثي للعلامة في تصوّر بورس، و"المؤول ليس هو من يؤول العلامة، إنّه علامة تحيل ممثلا على موضوعه"<sup>37</sup>، أي يقوم بدور الوساطة بين ممثّل العلامة وموضوعها، إذ يعبر عن علامة أولى تتولد عنها علامة ثانية، وعن الثّانية علامة ثالثة، وعن الثّالثة علامة رابعة، إذ تشكّل هذه الحركة التّوليدية للعلامات ما يعرف عند بورس «السيميوزيس»، لكن هذا لا يعني أنّ المؤول هو التّأويل، إنّما هو نقطة البداية التي يتشكّل فيها المعنى، حيث إنّه يرتبط بالتّأويل ويعدّ منطلقا له؛ فالمؤول يقتضي وضعه لا يتطلّب سياق خاص، ولا يتطلّب

<sup>31</sup>- م. ن، ص. 85.

<sup>32</sup>- يُنظر: م. ن، ص. 19.

<sup>33</sup>- يُنظر: سعيد بنكراد، المؤول والعلامة والتّأويل.

<sup>34</sup>- يُنظر: أمبرتو إيكو، التّأويل بين السيميائيات والتّفكيكية، ص. 132.

<sup>35</sup>- يُنظر: م. ن، ص. 140-141.

<sup>36</sup>- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللّغة، ص. 108.

<sup>37</sup>- جيراردولودال وجويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات (مدخل إلى سيميوطيقا شال س. بيرس)، ص. 18.

شخصاً يقوم بالتأويل، في حين يمكن اعتبار التأويل محاولة لإمساك خيوط الدلالة والدفع بها إلى نقطة نهائية تعدّ خاتمة لمسار تأويلي<sup>38</sup>، وينقسم المؤول إلى ثلاثة أقسام وهي كالآتي:

#### أ- المؤول المباشر:

يرتبط المؤول المباشر (interpretant immediate) للاستعارة بموضوعها المباشر "ويكتفي بتقديم المعلومات الأولية الخاصة بموضوع ما (معنى، الواقعة أو العلامة)"<sup>39</sup> كما يدركها المتلقّي، دون الاعتماد على شيء آخر، وهذا المفهوم لا يقمّ معرفة بل يكتفي بإدخال الممثل في حركة ديناميّة، تمثل بداية اشتغال السيميوزيس، ورغم أنّ هذا المؤول يختلف عن غيره من المؤولات "التي هي في الواقع أشكال فكرية وتفكيرية لتفاعل قدرات الإدراك المختلفة مع هذا المؤول المباشر"<sup>40</sup>، إلاّ أنّه الأكثر مسؤوليّة عن توجيهه وتوجّه السيرورة الإدراكية، التي تبدأ مع المؤول المباشر للاستعارة ويتّضح مسارها أكثر مع مؤولها الدينامي.

#### ب- المؤول الدينامي :

يقع المؤول الدينامي للاستعارة (interpretant dynamique) في المرتبة الثانية بعد مؤولها المباشر ويختلف عنه، إذ يتميّز الموضوع الدينامي في عمومها بحركة تجديدية مستمرة، تخرج العلامة من دائرة التحيين البسيط إلى التأويل. فهذا المؤول لا يكتفي بما تقدّمه العلامة في مظهرها المباشر بل يمتاح عناصر تأويله من المحيط المباشر وغير المباشر للعلامة<sup>41</sup>، وينقسم المؤول الدينامي من حيث العلاقة التي يربط من خلالها بين الممثل والموضوع حسب نوعية هذا الموضوع، فإذا كان موضوع الاستعارة مباشراً تكون المعطيات الذي يقدمها مؤولها الدينامي من الدرجة الأولى أي (مؤول دينامي1)، وإذا كان موضوع الاستعارة دينامياً، فإنّ المعلومات التي يوفّرها هذا المؤول تكون من الدرجة الثانية (مؤول دينامي2).

<sup>38</sup>- يُنظر: سعيد بنكراد، المؤول والعلامة والتأويل.

<sup>39</sup>- أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص.139.

<sup>40</sup>- محمود عبد اللطيف، آليات إنتاج النصّ الروائي (نحو تصوّر سيميائي)، ص.102.

<sup>41</sup>- يُنظر: محمود عبد اللطيف، آليات إنتاج النصّ الروائي (نحو تصوّر سيميائي)، ص.ص.139-140.

## ب-1- المؤول الدينامي 1 :

يعتبر المؤول الدينامي 1 قراءة في المعطيات التي توّد العلامة أن تقدمها حول موضوعها المباشر "دون البحث في السياق الخارجي الذي يحيط بهذا الموضوع، وعليه لا يمنح المؤول الدينامي سوى الوقائع التي لها علاقة بالعلامة نفسها، أي أنه لا يوفّر إلاّ المعارف، التي يمكن أن تكشف ما تريد العلامة قوله عن موضوعها المباشر"<sup>42</sup> داخل سياق العلامة نفسه.

## ب-2- المؤول الدينامي 2 :

يتحقق المؤول الدينامي 2 عندما يرتبط المؤول الدينامي بالموضوع الدينامي، وفي هذه الحالة يستقي المؤول الدينامي معلوماته من سياق الموضوع، أيًا كان بعده أي من مجموع المعارف والمعلومات المتصلة بالموضوع"<sup>43</sup>، وإذا كان المؤول الدينامي 1 يرتبط بالموضوع المباشر، ولا يتعدى الكم المعلوماتي الذي توفره العلامة بخصوص هذا الموضوع، فإنّ المؤول الدينامي 2 يشكّل قراءة في سياق خارجي مباشر (خارجي أو سابق) عن معرفة الشخص الذي يؤول، المؤول الدينامي 2 هو إذن قراءة في السياق الاجتماعي (الخارجي) أو التاريخي (السابق) أو فيهما معاً، لوجود العلاقة بين العلامة وموضوعها الخارجي"<sup>44</sup>، وتكمن أهمية هذا المؤول في كونه مسؤول عن تطوير المؤول الدينامي الأول والمؤول النهائي الأول.

## ت- المؤول النهائي:

يتضمن المؤول النهائي (interpretant final) : المؤول المباشر والمؤول الدينامي، وهو كما يعرفه بورس "الوقع الذي تولده العلامة في الذهن بعد تطوّر كاف للفكر"<sup>45</sup>، يعمل هذا المؤول على توقيف الفائض الدلالي الذي يولده المؤول الدينامي، إذ يرى بورس أنّ هذه القوة الهائلة التي يطلق عنانها المؤول الدينامي، يجب أن تتوقف في لحظة ما لكي تستقرّ الذات المؤولة على دلالة ما، إنّ هذه الوظيفة

<sup>42</sup> - محمد الماكري، الشكّل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، ص. 55.

<sup>43</sup> - م. ن، ص. ن.

<sup>44</sup> - يُنظر: جيراردولودال وجويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات (مدخل إلى سيميوطيقا شال س. بيرس)، ص. 98.

<sup>45</sup> - سعيد بنكراد، المؤول والعلامة والتأويل.

التَّحْجِيمِيَّة يتكفَّل بها مؤوَّل ثالث يطلق عليه بورس: المؤوَّل المنطقي<sup>46</sup>، وتقوم هذه الوظيفة التَّحْجِيمِيَّة بتثبيط الحركة التَّدَالِيَّة «السِّمِّيوزيس» بواسطة قوانين محدَّدة تعرف عنده بالعادة «habitude»، التي "تجمَّد مؤقتًا الإحالة اللامتناهية من علامة إلى علامة أخرى لكي يتسنى للمتكلمين الإتفاق سريعًا على واقع سياقي إبلاغي معيَّن، إنَّ العادة تشل السيرورة السِّمِّيائية"<sup>47</sup> وتبدأ في التَّشكُّل على مستوى المؤوَّل النَّهائي 1.

### ت-1- المؤوَّل النَّهائي 1 :

يرتبط المؤوَّل النَّهائي 1 بالمؤوَّل الدِّينامي 1، ويتصف بأنَّه عادة عامة لتأويل الأدلة، حيث تتولد هذه العادة نتيجة تكرار شخص ما لفعل صادر عنه في زمان ومكان معيَّن، حيث يصبح هذا التَّكرار مع الوقت قاعدة عامة تخضع لها الأفعال المشابهة للفعل الأوَّل، وهي «العادة» جماعية أكثر ممَّا هي فردية لأنَّها تكتسب عن طريق التَّجربة الجماعية<sup>48</sup>، إذ يرى بورس أنَّ العادة هي التَّعريف الحسي، إنَّها المؤوَّل المنطقي النَّهائي الأصيل، والحاصل أنَّ أكثر الحسابات الخاصة بمفهوم ما، القابل للبحث من خلال كلمات، يمكن في وصف العادة الخاصة التي يقوم هذا المفهوم بإنتاجها<sup>49</sup>، وإنتاج هذه العادة من طرف المؤوَّل النَّهائي يجعل منه مؤوَّلًا لا يتأسَّس على معرفة بل على الاعتقاد فقط.

### ت-2- المؤوَّل النَّهائي 2 :

يرتبط المؤوَّل النَّهائي 2 بالمؤوَّل الدِّينامي 2، ويمثل عادة متخصصة في إدخال التَّأويل في مجال متخصص يهتم بقطاع معرفي يخضع للمراقبة العلميَّة، حيث "يرى بورس أنَّ المؤوَّل النَّهائي في هذه الحالة يعيَّن طريقة في الكشف عن حكم عام من خلال حالة خاصة. وتلك عادة الخبير الفني الذي يقوم

<sup>46</sup> - أمبرتو إيكو، التَّأويل بين السِّمِّيائيات والتَّفكيكية، ص. 140.

<sup>47</sup> - سعيد بنكراد، المؤوَّل والعلامة والتَّأويل.

<sup>48</sup> - يُنظر: جيراردولودال وجويل ريطوري، السِّمِّيائيات أو نظرية العلامات (مدخل إلى سيميوطيقا شال س.بيرس)، ص. 98.

<sup>49</sup> - يُنظر: أمبرتو إيكو، العلامة ( تحليل المفهوم وتاريخه)، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء 2007، ص. 272.

برد حالة مجهولة إلى فنان بعينه، أو إلى مرحلة تاريخية بعينها، أو إلى مدرسة فنية بعينها أيضا؛ وهي أيضا عادة عالم الحفريات الذي يقوم بتحديد تاريخ حجر ما استنادا إلى المعرفة التي يملكها عن تعدد العصور الجيولوجية مثلا<sup>50</sup>، أي الوصول إلى قاعدة عامة من خلال حالة خاصة.

### ت-3- المؤول النهائي 3 :

يختلف المؤول النهائي 3 عن سابقه (المؤول النهائي 1 والمؤول النهائي 2) في كونه لا يرتبط بمؤول دينامي لأنه "خارج السياق، فهو لا يقتضي تجربة معينة من أجل أن يوجد"<sup>51</sup>، وبذلك يمثل الحدود القصوى التي يمكن أن يصل إليها الفكر الإنساني في تأويل ظاهرة معينة، حيث يضم هذا المؤول القوانين الخاصة بكل الأدلة أو الظواهر، التي استطاع الفكر أن يصل -وإن مرحليا- إلى تحديدها بشكل كاف وغير متناقض. ولذلك، فهو يشكل خلفية معرفية مجردة، للبحث في القضايا أو الأدلة الوجودية المناسبة له، بفضل تحيين نسخته التي هي المؤول النهائي 2<sup>52</sup>، ويفضل المؤول النهائي 3 ينتهي نشاط الحركة التدايلية تطبيقيا، وإن كانت من الناحية النظرية تبدو غير متناهية.

### - الاستعارة والسيميوزيس:

يعرف بورس السيميوزيس بأنها حركة أو سيرورة تفترض تشارك ثلاثة عناصر هي: الممثل، الموضوع، المؤول، إذ لا يمكن للحركة المتداخلة بين هذه العناصر الثلاثة بأي شكل من الأشكال، أن تختصر في علاقات زوجية<sup>53</sup>؛ يعود أصل هذا التعريف إلى مفهوم العلامة وبنائها الثلاثي عند بورس، وقد تطرقنا فيما سبق إلى العلاقة الثلاثية التي تجمع بين الممثل والموضوع والمؤول في العلامة السيميائية، إذ يعتبر بورس السيميوزيس "الفعل أو الأثر الذي هو تشارك"<sup>54</sup> هذه الأطراف الثلاثة، حيث

<sup>50</sup>- سعيد بنكراد، المؤول والعلامة والتأويل.

<sup>51</sup>- محمد الماكري، الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، ص.56.

<sup>52</sup>- يُنظر: محفوظ عبد اللطيف، آلية إنتاج النص الروائي (نحو تصور سيميائي)، ص.106.

<sup>53</sup>- يُنظر: جيراردولودال وجويل ريطوري، السيميائيات أو نظرية العلامات (مدخل إلى سيميوطيقا شال س.بيرس)، ص.20.

<sup>54</sup>- م. ن، ص.41.

يحيل الممثل على موضوع عبر مؤول، وهذا معناه النظر إلى الدلالة باعتبارها سيرورة في الوجود وفي الاشتغال، وليس معطى جاهزا يوجد خارج الفعل الإنساني.

تبدأ السيميوزيس في الاشتغال مع المؤول الدينامي الذي "يحيلنا على حركية التأويل، التي تعدّ أصل السيميوزيس وطبيعتها الفعلية"<sup>55</sup>، وتستمر هذه الحركية مع المؤول النهائي بأشكاله المختلفة، حيث يعيد كل مؤول قراءة الموضوع المباشر أو محتوى الدليل ويوسّع في هذه القراءة انطلاقاً من المعلومات الجديدة التي يكتسبها، وهذا "الانتقال من مؤول إلى آخر يكسب العلامة تحديداً أكثر اتساعاً، سواء أكان ذلك على مستوى التقرير أو على مستوى الإيحاء"<sup>56</sup>، ويجعلها تدور في حركة تأويلية غير متناهية، لكن الانتقال من مؤول إلى آخر يجعل التأويل يقترب شيئاً فشيئاً من المؤول المنطقي النهائي الذي تحكمه العادة، التي تحدّد السياق الخاص لاشتغال المؤولات وإدراجها ضمن منطق خاص للتدليل، فإذا كانت حركة التأويلات غير نهائية من الناحية النظرية كما ورد عند بورس، فإنّها من ناحية الممارسة تخضع للعادة التي تشلّ هذه السيرورة السيميائية على مستوى المؤول النهائي<sup>3</sup>، أي أنّها محكومة بحد ضروري منطقي يقيد عمل الموسوعة وهو عالم الخطاب الذي يفرض بشكل ما إرغاماً ته على مسار التأويل<sup>57</sup>.

وبما أنّ الاستعارة تتميز بنفس الخاصية التي تتميز بها العلامة السيميائية بصفة عامة، أي خاصية التحوّل على مستوى المدلول، فإنّها ستدخل في سيرورة سيميائية لا متناهية، كون "الاستعارة تعدّ ميداناً للعلامة بقدرتها على التحوّل على مستوى المدلول، لكي يصبح بدوره علامة من نوع آخر تشير إلى مدلول آخر فيما يعرف بالتحوّل الدلالي"<sup>58</sup> أو السيميوزيس.

#### – الاستعارة والأيقونة:

<sup>55</sup>– سعيد بنكراد، المؤول والعلامة والتأويل.

<sup>56</sup>– أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص.120.

<sup>57</sup>– يُنظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، ط1، الرباط 2005، ص.104.

<sup>58</sup>– محمد سالم سعد الله، مملكة النص (التحليل السيميائي للنقد البلاغي، الجرجاني نموذجاً)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، عمّان 2007، ص.58.

يدرج بورس الاستعارة ضمن العلامات الأيقونية، والأيقونة (L'icône) عنده تنشأ نتيجة ارتباط العلامة بالموضوع في المرتبة الأولانية من مراتب الوجود\*، حيث تعدّ الأيقونة "علامة فرعية أولى لبعد الموضوع، وهي تشبه الموضوع الذي تمثله"<sup>59</sup> وتحيل عليه انطلاقاً من تشابه خصائصها مع خصائص هذا الموضوع.

تملك الأيقونة طابعاً تمثيلاً أو تصويرياً "يجعلها دالة حتى وإن لم يوجد موضوعها"<sup>60</sup>، لذلك "يعتبر الأيقون ممثل «représentament» وخاصة التمثيلية هي أولانية الممثل باعتباره أولاً، أي خاصية كشيء تجعله مؤهلاً لأن يكون ممثلاً، وتبعاً لذلك، فأى شيء يمكن أن يصلح بديلاً لأي شيء آخر يشبهه"<sup>61</sup>، أي بإمكانه أن يقوم مقامه، والأيقونة ليست علامة شبيهة بالموضوع الذي تعنيه لأنها تعيد إنتاجه، إنها كذلك، لأنها قائمة على صيغ خاصة لإسقاط انطباعات إدراكية: «بروز، استعمال لجزء من الموضوع، نقل» من خلال التذكّر بتجربة «لمسية وسمعية»، أو من خلال لعبة سيرورة حسية مركبة تفرّض النّظر إليها باعتبارها شبيهة بتلك التي أحس بها في حضور الموضوع. وفي هذه الحالة، فإنّ مقولات التشابه والتماثل والتناسب ليست تفسيراً لخصوصية العلامات الأيقونية، بل تشكّل مرادفات للأيقونة، وهذه الأيقونات لا يمكن تمييزها إلا من خلال تحليل مختلف الصيغ المنتجة للعلامات<sup>62</sup>.

وبما أنّ الأيقونة ترتبط بالتمثيل فإنّها تتجلى في العديد من الأشكال التصويرية إذ "يميز بورس في قسم الأيقونات بين الصوّر التي تشبه الموضوع من بعض الجوانب، وبين الرسوم البيانية التي تعيد إنتاج بعض العلاقات بين أجزاء الموضوع، وبين الاستعارات التي لا ندرك داخلها سوى تواز عام"<sup>63</sup>، فالصوّر

---

\*- يناسب الوجود الأوّل عند بورس مرتبة الأولانية (Primeité)، والوجود الثّاني يوافق مرتبة الثّانانية (Secondeité)، والوجود الثّالث يناسب مرتبة الثّالثانية. يُنظر: محمد الماكري، الشّكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، ص.43.  
<sup>59</sup>- جيراردولودال وجويل ريطوري، السّمياتيات أو نظرية العلامات (سيمبوطيقا شال س.بيرس)، ص.17.  
<sup>60</sup>- م. ن، ص.78.

<sup>61</sup>- محمد الماكري، الشّكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، ص.48.

<sup>62</sup>- يُنظر: أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ص.ص.99-100.

<sup>63</sup>- م. ن، ص.96.

الفوتوغرافية هي علامة أيقونية تمثل شخص ما (صاحب الصورة) وتتوب عنه في غيابه\*، وإطلاق اسم أيقونة على صورة فوتوغرافية لا يراه إيكو سوى استعارة لذلك يقول: "إنّ الأيقونة هي بكل دقة صورة ذهنية متولّدة عن هذه الصورة الفوتوغرافية"<sup>64</sup>، وعليه فهي مثل الاستعارة موجودة على مستوى الوعي، ونفس الشيء بالنسبة للرسم البياني فهو أيقونة لأنّه يمثل الشّيء المرسوم وينوب عنه في غيابه، فالرسوم البيانية شأنها شأن الاستعارات تؤسس لقضية أ/ب=س/<sup>65</sup>. ويمكن أن نعتبر الاستعارة أيقونة في حدود أنّها تفرّض تشابها بين طرفيها بمعنى أنّها علامة تحيل على شيء (موضوع) تشبّهه.

إنّ الاستعارات التي تقبل الانطواء تحت قسم الأيقونات، هي الاستعارات التي لا تجد مؤولا موسوعيا يحول دون انفتاحها على عدة موضوعات دينامية، أي تلك التي تماثل اللوحة الفنية التي وإن كنا نرى نوعياتها «خطوط، ألوان أشكال»، ولا نجد في أذهاننا مؤولا نهائيا لها نستطيع -مع ذلك- أن نحسد بموضوعها عن طريق اختلاقنا لمؤول خارجي يقوم بربط الممثل بهذا الموضوع، الذي قد يكون صادقا أو كاذبا. إلّا أنّ هناك بعض الاستعارات التي يصعب علينا أن نضعها في حافة الأيقونة لأنّ المتلقّي يستطيع أن يربطها بموضوعها الدينامي، وتنتمي هذه الاستعارات إلى نوع الاستعارات المستهلكة أو الميتة، التي تحت مفعول التكرار والزمن، أصبحت رغم انزياحها عن مؤولات أدلتها الجزئية، ممتلكة في كليتها لمؤول موسوعي مباشر<sup>66</sup>.

#### - الاستعارة والرّمز:

يعقد بول ريكور صلة بين الاستعارة والرّمز نظرا لأهمية نظرية الاستعارة في تجاوز الصعوبة التي تتميز بها الرّموز؛ والرّموز هي عبارة عن علامات تقترن بموضوعها في المرتبة التالثنائية من مراتب الوجود، حيث يعرف بورس الرمز بأنّه علامة تحيل على الموضوع الذي تعينه بموجب تلازمات أفكار عامة تحدد مؤول الرّمز بالإحالة على هذا الموضوع، إنّه هو ذاته نمط عام أو قانون أي علامة قانون

\*- نلاحظ ذلك في بطاقة التعريف وجواز السفر، وغيرهما من الأوراق الثبوتية التي تحمل صورة فوتوغرافية تتوب عن الشّخص وتغني عن حضوره.

<sup>64</sup>- م. ن، ص. 245.

<sup>65</sup>- أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ص.ص. 99-100.

<sup>66</sup>- يُنظر: محفوظ عبد اللطيف، آليات إنتاج النصّ الروائي (نحو تصوّر سيميائي)، ص. 87.

(Legisine)<sup>67</sup>، واشتغال العلامة كرمز أو كقانون يتم عبر عرف، "فالرمز علامة اعتباطية، تستند في ارتباطها مع موضوعها إلى عرف، وأبرز مثال على ذلك هو العلامة اللسانية"<sup>68</sup>، هذا ما يجعل الرمز يتصف بالعمومية التي تجعل من كل كلمة وكل علامة اتفاقية رمزا.

يتميز الرمز ببنية مزدوجة تتشكل في جانب دلالي وآخر لا دلالي، ويصطدم بمعضلتين تجعلان من الدنو المباشر من بنية هذا المعنى المزدوج أمرا صعبا، تتمثل المعضلة الأولى -حسب ريكور- في أنّ الرموز تنتمي إلى حقول بحث متعدّدة جدا ومتشعبّة، أما الثّانية فهي في كون الرموز تجمع بين بعدين، بل يمكن القول بين عالمين للخطاب، أحدهما لغوي والآخر من مرتبة غير لغوية<sup>69</sup>، هذه الصعوبة الخارجية يوضحها ريكور في ضوء نظرية الاستعارة عبر ثلاثة خطوات هي كالآتي<sup>70</sup> :

- تحديد النّواة الدّلالية التي يتسم بها كل رمز، مهما بلغت الفروق بينهما، على أساس بنية المعنى القائم في الأقوال الاستعارية.

- يتيح لنا العمل الاستعاري للغة أن نزل الطبقة اللا-لغوية من الرموز، وأن نفرز مبدأ انتشارها من خلال منهج المقارنة.

- يمثّل الفهم الجديد للرموز مبحث تطورات لاحقة في نظرية الاستعارة، قد تبقى من دونه خفية غير منظورة، حيث يعمل هذا الفهم الجديد للرموز على اكمال نظرية الاستعارة وخلق خطوات وسطى تسمح بردم الهوة بين الاستعارة والرموز.

من هنا يرى ريكور أنّ الاستعارة ترتبط بالرمز في جانبه الدلالي، لذلك تعدّ العنصر الكاشف المناسب لإضاءة هذا الجانب الذي له مساس باللّغة، حيث تقدم لنا العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي في منطوق استعاري دليلا مناسباً يتيح لنا أن نحدّد على نحو صحيح السّمات الدّلالية للرمز، وهذه السّمات هي التي تربط كل رمز باللّغة، وعليه تضمن وحدة الرّموز، ولكي تؤدّي الاستعارة وظيفتها

<sup>67</sup>- يُنظر: محمد الماكري، الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، ص.51.

<sup>68</sup>- أمبرتو إيكو، العلامة (تحليل المفهوم وتاريخه)، ص.91.

<sup>69</sup>- يُنظر: بول ريكور، نظرية التّأويل (الخطاب وفائض المعنى)، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1 المركز الثقافي العربي الرباط2003، ص.ص.94-95.

<sup>70</sup>- يُنظر: م. ن، ص.96.

في الكشف عن الشق الدلالي للرمز، يؤكد ريكو على ضرورة دراستها وفق النظرية التفاعلية لا الاستبدالية، حيث يعمل التوتر القائم في الاستعارة على إيجاد كل الدلالات الممكنة عن طريق التفاعل، مما يؤدي إلى اتساع المعنى في الاستعارة، وهذا ما يحدث في الرمز، إذ يعمل بمعناه العام بصفته فائض دلالة، ودراسة الاستعارة وفق النظرية التفاعلية، يبين كذلك عمل الاستعارات كسلسلة أو كشبكة متلاحمة تستدعي فيها كل استعارات أخرى وتؤثر فيها عن طريق التفاعل، مما يضمن لها الحيوية والاستمرارية، حيث تبقى الاستعارة حية بالحفاظ على قدرتها في استحداث الشبكة الدلالية وتوليد معاني جديدة تمنعها من الاضمحلال<sup>71</sup>.

أما الاستعارة حين تتناولها الجماعة اللغوية وتقربها، تختلط بامتداد لا حصر له من الكلمات المتعددة المعاني. في البداية، تبتذل الكلمة، ثم تتحول إلى استعارة ميتة. وفي المقابل، لأن الرموز تمد جذورها في أصقاع الحياة والشعور والعالم، ولأن لها ثباتا استثنائيا، فإنها تفضي بنا إلى التفكير بأن الرمز لا يموت، بل يتحول فقط. من هنا، إذا تشبنا بمعيار الاستعارة، فلا بد أن تكون الرموز استعارات ميتة<sup>72</sup>.

يؤكد ريكو في هذا المقام علاقة الاستعارة بالرمز وهي علاقة تداخل تبيّن الجانب الرمزي في الاستعارة والجانب الاستعاري في الرمز، لذلك يخلص إلى وجوب تقبل قضيتين متعاكسين حول العلاقة بين الاستعارات والرموز، فمن جانب نجد الاستعارة أكثر اتساعا من الرمز لأنها تزود اللغة بعلم دلالة ضمنى للرموز، وما يبقى مختلطا في الرمز وهو دمج شيء بآخر، ودمجنا بالأشياء، والتجاوب اللانهائي بين العناصر يتم توضيحية في توتر المنطوق الاستعاري، ومن جانب آخر نجد الرمز أكثر اتساعا من الاستعارة فهي ليست سوى إجراء لغوي؛ أي شكل غريب من أشكال الإسناد، يختزن في داخله قوة رمزية. وبطل الرمز ظاهرة ذات بعدين، حيث يشير وجهه الدلالي إلى وجهه اللا-دلالي، وهو مقيد بطريقة لا تنقيد بها الاستعارة، فللرموز جذور تدخلنا إلى تجارب غامضة. أما الاستعارات، فليست سوى سطوح

---

71 - يُنظر: بول ريكو، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، ص.ص. 96-109.

72 - م. ن

، ص. 108.

لغوية للرموز<sup>73</sup>، وارتباط الاستعارة بالرمز بهذه الطريقة يعني ارتباط الاستعارة بالبيئة الثقافية التي أنتجت هذا الرمز، وهذا ما يسمح برؤية الاستعارة كعلامة ثقافية، يرتبط تأويلها بالموسوعة الثقافية للقراء.

### 3- التداولية والاستعارة:

تهتم التداولية بدراسة الاستعارة من حيث هي نشاط لغوي يحقق التّواصل بين بني البشر وخاضع لظروف إنتاج الخطاب بصفة عامة، متجاوزة بذلك حدود النّظرية الدّلالية التي لم تتعدى في تفسيرها لآلية الإستعارية شقّها الدّلالي، أي اعتبارها آلية لغوية دون الأخذ في الاعتبار النّسق العام الذي يحكم الآلية الاستعارية والخاضع بدوره لشروط تداولية، وفيما يلي سنعرض بعض المظاهر التداولية للاستعارة.

#### - مقصدية الاستعارة:

عرض جون سيرل (jean Searle) في كتابه «المعنى والتعبير» قضية الاستعارة وعلاقتها بمقصدية المتكلم، فمشكلة الاستعارة تعدّ عند سيرل جزءا من مشكلة لغوية عامة هي تفسير الكيفية التي ينعزل فيها معنى المتكلم والجملة، أو بعبارة أخرى: كيف تقول شيئا وتعني شيئا آخر؟<sup>74</sup>.

لا يؤمن سيرل بازدواجية المعنى في العبارة، والجملة بحسبه لا تتضمن سوى معنى واحد وهو المعنى الحرفي، أمّا المعنى الاستعاري فهو مرتبط بالتلفظ أي بقصد المتكلم، فالاستعارة في تصور سيرل لا ترتبط بمعنى الجملة بل ترتبط بمعنى المتكلم. إنّ الطّبيعة الاستعارية لمفوض ما تعود إلى قصدية المؤلّف واختياره، وليس إلى أسباب داخلية للبنية الموسوعية<sup>75</sup> ولهذا السبب فإنّ تأويل الاستعارة مرتبط بقرار صادر عن قصدية المتكلم.

يفرّق سيرل بين المعنى الحرفي والمعنى الاستعاري بمصطلحين هما: (speaker meaning) وهو معنى المتكلم، و (sentence meaning) وهو معنى الجملة<sup>76</sup>، وربطهما بقاعدة مفادها: إذا تحقّق

<sup>73</sup> يُنظر: بول ريكو، نظرية التّأويل (الخطاب وفائض المعنى)، ص.ص. 102-103.

<sup>74</sup> -voir: Jean searle, sens et expression, les éditions de minuit, paris,1979, p.122 .

<sup>75</sup> - أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيات والتّفكيكية، ص.159.

<sup>76</sup> - voir: Jean searle, sens et expression, p.122

التطابق بين معنى الجملة والمعنى الذي يقصده المتكلم نكون أمام المنطوق الحرفي، أما في حالة عدم التطابق بينهما فإننا سنكون إزاء المنطوق الاستعاري الذي يقسمه سيرل إلى ثلاثة أنواع هي كالاتي<sup>77</sup> :

- المنطوق الاستعاري البسيط، وفيه تقوم الاستعارة على الاستبدال المحدد لكلمة بكلمة أخرى، أي كلمة ملفوظة بأخرى مضمرة وتمثل المقصود المجازي، أو قصد المتكلم.

- المنطوق الاستعاري غير المحدد، وهو يتسم باتساع مجال المعاني التي يحتملها المنطوق الاستعاري، إذ لا يتحدد المضمرة هنا في كلمة واحدة بل يتشعب بين عدة دلالات مجازية يحتملها البعد المجازي الاستعاري.

- الاستعارة الميتة، وفيها يهمل المعنى الأصلي للملفوظ، ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ.

لكن على الرغم من أنّ المقصدية من الظواهر التداولية التي تبرز الانجاز الاستعاري، إلا أنّ هذا الطرح الذي يقدمه سيرل والذي يربط من خلاله إنتاج الاستعارة بقصدية المتكلم، غير صائب في تفسير الاشتغال الاستعاري وذلك للأسباب الآتية:

- إنّ عدم قبول سيرل بازدواجية المعنى وتحديد المعنى الحرفي كمعنى وحيد للجملة، معناه أنّه اقتصر على المداخل المعجمية للكلمات المشكّلة للجملة، دون أن يهتم بالمعنى المقامي الذي تكتسبه الكلمات في الوضعيات السياقية المحددة، إضافة إلى أن هذا الطرح يوقف تعدد المعنى المفترض داخل اللغة والخطاب، ويمكن أن نستنتج من هنا، انحصار سيرل في المستوى العادي للغة، وعدم التفاته إلى الطابع الإبتكاري<sup>78</sup> الذي تحاول اللغة من خلاله استيعاب دينامية الواقع .

- إنّ ارتباط الاستعارة بالمتكلم ينفي وجود المتلقّي ودوره في عملية التأويل، فالمعنى الذي يقصده الناطق بالاستعارة لا يفهمه بالضرورة المتلقّي، وقد يؤوّل بعيدا عن قصدية الناطق بالاستعارة، "فالتأويل الاستعاري ينبثق من التفاعل بين المؤوّل والنص، ولكن نتيجة هذا التأويل تفرضها طبيعة النص وطبيعة

---

<sup>77</sup>- يُنظر: عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة، مقالة في مجلة علامات، العدد، 23، مكناس 2005

<sup>78</sup>- يُنظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص.84.

الإطار العام للمعارف الموسوعيّة لثقافة ما، وفي جميع الحالات، فإنّ هذه النتيجة لا علاقة لها بقصدية المتكلم، فبإمكان المؤل أن ينظر إلى أي ملفوظ نظرة استعارية، شريطة أن تسعفه في ذلك موسوعته الثقافيّة<sup>79</sup>، وبذلك يشارك في عملية بناء الدلالة وتأويلها، ويشارك في العملية الاستعارية بأسرها.

- لا تتفق مقصدية الناطق بالاستعارة ومتلقيها، إلّا إذا كانا ينتميان إلى نفس البيئة الثقافيّة، فالمنطوق الاستعاري مرتبط بالموسوعة الثقافيّة للناطق التي قد تختلف عن الموسوعة الثقافيّة للمتلقّي، ما يجعل الاستعارة لا تتعدى حدود الإنتماء الثقافي للمتكلم، وهذه المحدوديّة من الضروري تجاوزها لأنّ المتلقي يعطي تأويلات لا يقصدها المتكلم بل قصدتها اللّغة نفسها لأنّ مقصديتها اللّغة أقوى من مقصدية المتكلم، لذلك يرى إيكو أنّ الاستعارة ليست بالضرورة ظاهرة مقصورة، فمن الممكن أن تصوّر حاسوب ينتج، من خلال تراكيب عفوية، عبارات مثل: وسط درب حياتنا، ليقوم مؤل ما بمنحها معنى استعاري. وعلى العكس من ذلك، إذا رغب الحاسوب، بقصدية ساذجة، في إنتاج استعارة ما، فسيكون من الصعب منح هذه العبارة معنى استعاريا ملائما في سياق معارفنا اللّسانية<sup>80</sup>.

#### - مقبولة الاستعارة :

يرى أمبرتو إيكو أنّ مقبولة الاستعارة لا تقاس بمدى صدقها أو كذبها، واعتبار الاستعارة عرفانية لا يعني أن ندرسها بعبارات شروط الصدق، ولهذا السّبب لن نأخذ بعين الاعتبار النقاشات حول صدق الاستعارة، أي هل الاستعارة تقول الصدق أم لا؟ وهل من الممكن استمداد استدلالات صادقة من قول استعاري، فمستعمل الاستعارة يخفي المعنى الحقيقي للكلمة ويظهر معنى آخر وهو المعنى المجازي لها، وعليه فهو يكذب، حيث يرى إيكو أنّه من البديهي أنّ من يستعمل الاستعارة، فهو يكذب حرفيا، والجميع يعلم ذلك<sup>81</sup>.

<sup>79</sup> - أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيّات والتّفكيكيّة، ص.160.

<sup>80</sup> - يُنظر: م. ن، ص.162.

<sup>81</sup> - يُنظر: أمبرتو إيكو، التّأويل بين السّيميائيّات والتّفكيكيّة، ص.ص.237-238.

لكن المسألة عند إيكو لاتقف عند حدود مستعمل الاستعارة، بل ترتبط بمسألة أشمل تخصّ الوضع الصّدقي والكيفي «للتخيّل» أي كيف أننا ننظّاهر بقول شيء ما، ومع ذلك نريد بجديّة قول شيء صادق يتعدى نطاق الحقيقة الحرفية، فإذا كان مستعمل الاستعارة ظاهرياً يكذب، فهو على مستوى التخيّل صادقاً، لأنّه يريد أن يوصل لنا حقيقة، لكن هذه الحقيقة تتعدى المعنى الحرفي للكلمة إلى معناها المجازي، لذلك يرى إيكو أنّ من يقوم بالاستعارة فهو في الظاهر يكذب ويتكلم بطريقة غامضة، وهو بالخصوص يتحدث عن شيء آخر، مقدماً معلومة ملتبسة، وهذا الالتباس يضيف نوعاً من الغموض عند المتلقّي، ذلك ما يجعل مسألة دراسة الاستعارة بعبارات شروط الصّدق عقيمة<sup>82</sup>.

ومن هنا يرى إيكو أنّ مقبولية الاستعارة تتحدّد بمدى خضوعها لقواعد المحادثة التي وضعها بول غرايس (Paul Grice)، والمتفرّعة عن مبدأ التّعاون وهو المبدأ التّداولي الأوّل للتّخاطب، حيث "فرّع غرايس على مبدئه في التّعاون، قواعد تخاطبية مختلفة قسّمها أربعة أقسام يندرج كل قسم منها تحت مقولة مخصوصة، وهي: الكمّ والكيف والإضافة (أو العلاقة) والجهة"<sup>83</sup>، إذ يمكن أن ينظر إلى الاستعارة على أنّها نوع خاص من استغلال مبدأ أو أكثر من المبادئ الأربعة<sup>84</sup> التي وضعها غرايس، ويتميز هذا الاستغلال في خرق هذه المبادئ المتمثلة في<sup>85</sup>:

- قاعدتا كمّ الخبر، وهما :

أ- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

ب- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

- قاعدتا كيف الخبر، وهما :

أ- لا نقل ما تعلم كذبه.

ب- لا نقل ما ليست لك عليه بيّنة.

---

<sup>82</sup>- يُنظر: م. ن، ص. 238.

<sup>83</sup>- م. ن، ص. ن.

<sup>84</sup>- يُنظر: عيد بليغ، الرّؤية التّداولية للاستعارة.

<sup>85</sup>- يُنظر: طه عبد الرحمن، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، الرباط 1998، ص. 239.

- قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال، وهي :

أ- ليناسب مقالك مقامك.

- قواعد جهة الخبر، وهي :

أ- لتحترز من الالتباس.

ب- لتحترز من الإجمال.

إنَّ احترام القواعد التَّخاطبية يجعل من الحديث واضحا وصريحا، إذ تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلّا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنّهما يداومان على حفظ مبدأ التَّعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة، فإنَّ الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصَّريح والحقيقي إلى وجه غير صحيح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية ومجازية<sup>86</sup>، وهذا ما يحدث في الاستعارة.

لا تتوافق الاستعارة مع مبدأ الكم ، لأنَّ هذا المبدأ يفترض أن تكون المساهمة في الحوار إخبارية بالقدر الذي تتطلبه الوضعية التبادلية في التَّخاطب، في حين ترتبط الاستعارة بالإيجاز والاختصار، ممّا لا يناسب وضعية الحوار والمحادثة.

كما تخترق الاستعارة أيضا مبدأ النَّوع أو الكيف الذي يشترط الصدق في الحديث لأنَّ مستعملها - كما سبقت الإشارة إلى ذلك- يكذب بالمعنى الأدبي<sup>87</sup>، وذلك لعدم وجود تطابق بين القول وقصد المتكلم، فإذا كان هذا المبدأ يفترض ضرورة الصِّدق عند المساهمة في الحوار، فإنَّ مستعمل الاستعارة يفعل عكس ذلك إذ إنَّه يَظهر عكس ما يخفي، وهو بذلك يحتال على المتلقّي الذي يقدّم له معلومة ملتبسة يعجز عن تفسيرها.

هذا الالتباس يخرق بدوره مبدأ الطَّريقة أو الأسلوب، حيث تفترض الطَّريقة التي يجب أن تكون عليها المحادثة، كشرط لنجاح عملية التَّواصل، أن يكون المتكلم واضحا، لا يئسّم كلامه بالغموض ولا

<sup>86</sup>- يُنظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التَّكوثر العقلي، ص.239.

<sup>87</sup>- يُنظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص.150.

بالازدواجية في المعنى، وهذا ما لا تحقّقه الاستعارة، كون التّعبير الاستعاري يتميّز بعدم ظهور الدلالة بشكل جلي، لأنّه يعتمد أساسا على ازدواجية المعنى، ومما يجعل التّعبير في عمومه غامضا.

إنّ احترام مبدأ المناسبة أو العلاقة بالنسبة لغرابيس، يعني أن يكون حديث المتكلّم مناسباً للموضوع الذي يجمعه بالمتلقّي ومناسباً للهدف المتوخى من الحديث، ومناسباً أيضاً لمقام الحديث، وبما أنّ مستعمل الاستعارة يهدف إلى معنى غير المعنى الحقيقي للكلمة، ويعمد إلى الازدواجية في المعنى، فإنّه يخرج عن الموضوع مدار الحديث لأنه يحضر أثناء كلامه شيئا خارج الموضوع، ويكون بذلك قد انتهك قاعدة المناسبة.

وتبعاً لذلك فعندما يتكلم شخص منتهكا جميع هذه القواعد، ويفعل ذلك بطريقة تجعلنا لا نظنّ أنّه أحمق أو أخرق، نجد أنفسنا إزاء استلزام من الواضح أنّه يريد أن يقصد شيئا آخر<sup>88</sup>؛ وربط المعنى بقصد المتكلم ها هنا يعود بنا إلى علاقة الاستعارة بمقصدية المتكلم التي رأيناها من قبل مع سيرل.

لا تقف مقبولية الاستعارة عند خرق قواعد المحادثة التي وضعها غرابيس لنجاح عملية التواصل بين المتخاطبين فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى مجموعة من الخصائص الموسوعية التي يفرضها السياق الثقافي للغة من اللغات، حيث "توجد أيضا من بين القوانين التداولية التي تنظم قبول الاستعارات (وقرارات تأويلها) قوانين اجتماعية، ثقافية"<sup>89</sup> تتحكّم في مقبولية الاستعارة من عدمها .

تتمثّل هذه القوانين في المعطيات الثقافية التي تحكم جماعة لغوية معيّنة؛ حيث تفرض هذه المعطيات مجموعة من التشبيهات تناسب البيئة الثقافية للجماعة اللغوية، وتستبعد ما لا يناسب سياقها الثقافي، وهذا ما يفسّر مجموعة من الاستعارات الموجودة في اللغة العربية، كتشبيه الرّجل الشّجاع بالأسد، وتشبيه المرأة الجميلة بالوردة، وتشبيه الرّجل الكريم بالبحر، فهذه التشبيهات اكتسبت خصوصية في الدّهنية العربية لأنّ البيئة الثقافية فرضت ذلك من خلال الموروث الشعري.

يفرض الانتماء الدّيني والعرفي كذلك مقياسا لتقبّل بعض التشابهات واستبعاد أخرى، إذ لا يمكن على سبيل المثال أن نشبّه شيئا لديه ستة أقطاب بنجمة داوود في الثقافة الإسلامية، لأنّ السياق العام

88 - يُنظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص.283.

89- م. ن، ص.241.

لهذه الثقافة لا يؤمن بنجمة داوود الخاصة باليهود، وعليه يرفض هذا التشبيه فمسألة المقبولية "إذن تتعلق أساسا بالمحددات الثقافية الاجتماعية المحكومة بالزمن والذهنية"<sup>90</sup> التي أنشأت الاستعارة .

تشكل هذه المحددات الثقافية في مجموعها خصائص أو سمات المدلول التي يكسبها إياه السياق الثقافي، "فالمدلول السياقي يذهب أبعد من المدلولات المعجمية، وذلك لا يكون ممكنا إلا إذا قدمت الموسوعة سيناريوهات ومدلولات معجمية على شكل تعليمات"<sup>91</sup> توجه مقبولة الخصائص السياقية بما يناسب النسق الفكري العام لنفس الانتماء الثقافي، وتحتاج هذه التعليمات إلى قارئ ينتمي إلى نفس البيئة الثقافية واللغوية، حيث "يتم تقبل الاستعارة من قبل قارئها في لغتها الأصلية من خلال التقبل الذهني لها، إضافة إلى قدرة هذا القارئ اللغوية والثقافية"<sup>92</sup>، فتصير العوامل التي تجعل من القارئ يتقبل استعارة ويستبعد أخرى، هي نفسها "العوامل العامة التي تحكم تقبل المجتمع بأسره لهذه الاستعارة"<sup>93</sup>، وذلك باعتبار القارئ فردا من المجتمع يحمل نفس ذهنية مجتمعه ومعطياته الثقافية.

#### - موت الاستعارة وحياتها:

تعدّ ظاهرة موت الاستعارة وحياتها مظهرا تداوليا بامتياز، حيث تظهر فاعلية الشروط التداولية في عملية ابتداء الاستعارات وابتدائها، وقبل الخوض في هذه الشروط ارتأينا وضع الاستعارة الميتة والاستعارة الحية في إطارهما المفهومي.

تعرف الاستعارة الميتة بأنها استعارة استخدمها الناس لفترة طويلة من الزمن فأصبحت شائعة، ما أدى إلى عدم شعورنا فيها بالفرق بين الموضوع والصورة، أي أنه من غير المتوقع أن يشعر الكاتب أو القارئ بوجود أي صورة استعارية، لأنّ هذه الصورة اختفت نتيجة الاستخدام المتكرر<sup>94</sup>.

يشير أمبرتو إيكو إلى أن موت الاستعارة متعلق بتاريخها السوسيولساني، وليس ببنيته السيميوطيقة وتوليدها وإعادة تأويلها الممكن<sup>95</sup>، إذ يشتغل هذا النوع من الاستعارات كبدايل لأفكار واضحة على نحو

<sup>90</sup> - سعيد الحنصالي، الاستعارات في الشعر العربي الحديث، ص.150.

<sup>91</sup> - م. ن، ص.151.

<sup>92</sup> - عبد الله الحراصي، نظريات جديدة في الاستعارة والترجمة: <http://alalamy.hoos.com/t7725-topic>

<sup>93</sup> - م.ن.

<sup>94</sup> - يُنظر عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة.

عاطفي على الأغلب، ولكن دونما تجانس مع حقائق الأمور، ويدخل ضمن هذا النوع الاستعارات، العلمية، والدعائية، والاستعارات المألوفة التي تأتي لتصبح «كليشيات» ثابتة للتعبير عن بعض حالات التّواصل اليومي بين الناس<sup>96</sup>.

إنّ ما يميّز الاستعارة الميّنة عن الاستعارة الحية، هو أنّ الاستعارة الميّنة أو المبتذلة "تلتحم فيها الحدود التحاما حتى عدنا لا نرى بينها فرقا، فالوحدة علامة الموت والإبتدال، والتمييز، والإثنية علامة على النّشاط والحياة والنّوتر"<sup>97</sup>، وبذلك فالاستعارة الميّنة تختلف عن الاستعارة الحية التي تميّز بعدم التحام حدودها.

كما تختلف الاستعارة الميّنة بشكل واضح في المنظور التّداولي، عن الاستعارات الحية التي يتقبّلها المتلقّي محتفظة بتحقيق بعدها المجازي، فالاستعارة الحية تبقى محتفظة بطرافتها وجدتها، وهو ما يميّزها عن الاستعارة الميّنة، ومن ثم تكمن صعوبة تحويلها إلى منطوق حرفي، أو تحويلها إلى لغة أخرى عن طريق التّرجمة<sup>98</sup>.

وتعود صعوبة التّحويل أيضا، إلى أنّ إنتاج الاستعارة في الأساس، لا يرتبط فقط برغبة المنتج الفردية المستقلة، أو بمرونة اللّغة وقابليتها لاستيعاب الانجازات المتعدّدة المعنى، بل يرتبط أيضا بالعلائق التي تربط هذه المحدّات بالعالم، وبالشّروط الجمالية والايديولوجية للثقافة السّائدة<sup>99</sup>.

إنّ الشّروط الجماليّة والايديولوجية للثقافة السّائدة، مضافا إليها شرط السّياق، تمثّل في مجملها الشّروط التّداوليّة التي تحكم موت الاستعارة وإحيائها من جديد، وقد حدّدها إيكو فيما يلي<sup>100</sup>:

---

<sup>95</sup> - يُنظر: أمبرتو إيكو، تأويل الاستعارة، ترجمة: لحسن بوتكلوي

[http://www.aljabriabed.net/n26\\_11butaklawi.\(2\).htm](http://www.aljabriabed.net/n26_11butaklawi.(2).htm)

<sup>96</sup> - يُنظر: عيد بليغ، الرؤية التّداولية للاستعارة.

<sup>97</sup> - يُنظر: مصطفى ناصف، الصّورة الأدبية، مكتبة مصر، ط1، القاهرة، 1958، ص. 142. نقلا عن: م. ن.

<sup>98</sup> - عيد بليغ، الرؤية التّداولية للاستعارة .

<sup>99</sup> - يُنظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشّعر العربي الحديث، ص. 89 .

<sup>100</sup> - أمبرتو إيكو، السّيميائية وفلسفة اللّغة، ص. 309-311.

- يلعب السّياق دورا مهما في التّحكّم في موت الاستعارة أو إحيائها من جديد، إذ يوجد دائما سياق قادر أن يقدم مجازا شائعا أو استعارة منطفئة - الميّتة بتعبير ايكو - على أنّها جديدة.

- إن الانتقال من جوهر سيميائي «س» إلى جوهر سيميائي آخر «ي»، يجعل ما هو استعارة منطفئة في الجوهر «س» استعارة مبدعة في الجوهر «ي».

- يقدم السّياق الذي له وظيفة جمالية استعاراته «على أنّها بكر»، كونه يجبرنا على أن نراها بطريقة جديدة، ولأنّه يتصرف في قدر كبير من الإحالات بين مختلف مستويات النّص مما يجيز دائما تأويلا جديدا للعبارة المستعملة، والتي لا تعمل بصفة منفردة بل تتفاعل دائما مع جانب ما جديد للنص، ومن ناحية أخرى فإنّه من خصوصيات السّياقات ذات الوظيفة الجمالية أن تنتج علاقات موضوعية لها وظيفة استعارية مفتوحة جدا.

- يمكن للمجاز الأكثر «انطفاء» أن يشتعل على أنّه مجاز «جديد»، بالنسبة الى شخص يقترب لأول مرة من تعقيد توليد الدّلالة، فبالإمكان تصور شخص لم يسمع أبدا بمقارنة صبية بوردة ويجهل الأسس التناصية، ويتفاعل مع الاستعارة الأكثر انطفاء مكتشفا لأول مرّة العلاقات بين وجه أنثوي وزهرة.

- تساهم الظواهر الحسية في ابتكار استعارات جديدة، حيث يعيد الشّخص بناء معنمه مثرنا إياه بخصايات حسب بعض التجارب البصريّة أو اللّمسية، وفي هذه العملية تتدخّل ظواهر حسية متزامنة ومختلفة لبناء شبكات من العلاقات الدّلالية، من ذلك الاستعارات التي يبتكرها الشخص عند زيارته للطبيب، حيث يصف أعراضه المرضية بصفة غير صحيحة من مثل: صدري يسبب لي احتراقا، أحس بتتمل في ذراعي، رأسي سينفجر، وهكذا -يقول ايكو - نبتدع استعارات بسبب جهلنا للمعجم.

- فهم الاستعارة وترجمتها:

تتضح فعالية الشّروط النّقافية المتحكمة في النّشاط الاستعاري أثناء الاستعمال أيضا، من خلال فهم الاستعارة وترجمتها، حيث تهتم الدّراسة التّداولية للاستعارة بالأفكار التّداولية من فهم الاستعارة بوصفها وسيلة لغوية تواصلية، وتفسيرها على مستويين بلاغيين: مستوى التّواصل والتّفاعل البشري، والمستوى

الأدبي والفني، كما تهتم بترجمة الاستعارة وما يترتب عنها من الانتقال، من السياق الذي أنتجت فيه الاستعارة إلى سياق آخر، وما يتعلق بذلك من اختلاف السياق الثقافي والاجتماعي<sup>101</sup>.

يشترط فهم الاستعارة معرفة مشتركة للقواعد اللسانية لجماعة لغوية معينة، حيث تعمل هذه القواعد اللسانية على التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي للمفردة، ويكون ذلك معروفاً في المدونة اللغوية لمستعملي نفس اللغة وسائداً فيها، ذلك لأنّ مدلول الكلمة يحمل، زيادة على خصائصه المعجمية، خصائصاً سياقية تتحكم فيها الشروط الثقافية والاجتماعية، فيعمل كل سياق ثقافي على تنمية خصائص معينة وتثبيط أخرى، وهذا ما يفسر اختلاف السمات التي تميّز مدلول الكلمة من ثقافة إلى أخرى، وعليه فالمدلول السياقي تحكمه الموسوعة، حيث إنّ اختلاف الموسوعة الثقافية يعطلّ من فهم الاستعارة، وذلك لأنّ "فهم الاستعارة ينبغي أن يرتبط بسيرورات إدراكية وبطبيعة الوضع البيئي والثقافي للمتلقّي"<sup>102</sup>، ثم إنّ اختلاف السياق الثقافي والاجتماعي يؤوّل دون فهم الاستعارة باعتباره أهم العناصر التداولية في تفسيرها، كما "تلعب العوامل الشخصية مثل المهارة اللغوية والأدبية والتجربة الحياتية دوراً مهماً في تفسير الاستعارة"<sup>103</sup>، وهذا ما يعني أنّ عملية التفسير تشترط قارئاً ذو خبرة واسعة وكفاءة لغوية عالية.

وما يمكن أن يقال عن الظروف والشروط التي تتحكم في فهم الاستعارة، يقال أيضاً عن الظروف والشروط التي تحكم ترجمتها، وذلك لأنّ ترجمة الاستعارة لا يمكن أن تتحقّق دون فهمها.

تشكّل ترجمة الاستعارة بعداً من أبعاد الرؤية التداولية المهمة بدراسة الاستعارة أثناء انتقالها من لغتها الأصلية، أي اللغة التي تنشأ فيها إلى لغة أخرى، وتتم عملية الترجمة على أساس مراعاة خصوصيات اللغة الأصل أو المنشأ، وتتمثل هذه الخصوصية في القواعد اللسانية التي تضبط اللغة، إضافة إلى النسق الثقافي الذي يحكمها، ما يجعل عملية الترجمة، صعبة ومقيدة بشروط.

ففي ترجمة الاستعارة يكتسب المدلول المجازي للمفردة في اللغة الذي ينشأ فيها، مجموعة من الخصائص والسمات يفرضها عليه السياق الثقافي لهذه اللغة، هذا لأنّ منشأ الاستعارة في لغة من اللغات

---

<sup>101</sup> - يُنظر: عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة.

<sup>102</sup> - سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص. 149.

<sup>103</sup> - عيد بلبع، الرؤية التداولية للاستعارة.

مرتبط بالسياق الثقافي للمتكلمين بهذه اللغة<sup>104</sup>، وعند انتقال المدلول المجازي من لغته الأصلية «لغة المنشأ» إلى لغة أخرى، يكون مشحوناً بحمولة ثقافية وإيديولوجية يجب أن تراعى في هذه اللغة المستقبلة له، لكي يخلق هذا المدلول المجازي نفس التأثير الجمالي الذي يخلقه في لغته الأم.

#### - النتائج:

توصلنا من خلال محاولتنا تسليط الضوء على البلاغة الجديدة والمناهج النقدية الحديثة إلى مجموعة من النتائج تتلخص في الجزء الخاص بالبلاغة الجديدة والاستعارة في ما يلي :

- تُمثل الاستعارة في البلاغة الجديدة النشاط البلاغي بكل ما فيه من تعقيد.
- تُعد الاستعارة في البلاغة الجديدة أفضل وألمع الصور البيانية.
- تشمل الاستعارة في البلاغة الجديدة كل الصور البلاغية لأن اللغة بطبيعتها وفي الأصل استعارية.
- تشغل الاستعارة في البلاغة الجديدة عن طريق التفاعل وليس الاستبدال مثلما كانت عليه في البلاغة التقليدية.
- تُعد الاستعارة في البلاغة الجديدة وسيلة لتقديم المعرفة، وليست فقط وسيلة لتنميق النصوص وتجميلها.

أما في جزء السيميائيات والاستعارة فقد توصلنا إلى:

- الاستعارة آلية سيميائية تتجلى في جميع أنظمة العلامات.
- تحتل دراسة الاستعارة مجالاً واسعاً في الاشتغال السيميائي.
- الاستعارة علامة سيميائية تتوقّر على الحدود الثلاثة للعلامة: الممثل، الموضوع، المؤول.
- تدخل الاستعارة في سيرورة سيميائية لا متناهية (السيميزيس)، وذلك لأنها تملك خاصية التحول على مستوى المدلول.

---

<sup>104</sup>- يُنظر: م، ن.

- تلتقي الاستعارة والأيقونة في أنّ كليهما تفرض تشابها بين طرفيها، بمعنى أنّها علامة تحيل على شيء تشبهه.

- علاقة الاستعارة بالرمز هي علاقة تداخل بين الجانب الرمزي في الاستعارة والجانب الاستعاري في الرمز.

وفي الأخير توصلنا في الجزء الخاص بالتداولية والاستعارة إلى الآتي:

- يرتبط المعنى الاستعاري بالتلفظ أي بقصد المتكلم.
- يرتبط تأويل الاستعارة بقرار صادر عن قصدية المتكلم.
- تتحدد مقبولية الاستعارة بمدى خضوعها لقواعد المحادثة التي وضعها بول غرايس.
- توجد قوانين اجتماعية ثقافية تُنظّم قبول الاستعارات.
- موت الاستعارة وإحيائها مظهر تداولي بامتياز.
- تتمثل الشروط التداولية التي تتحكم في موت الاستعارة وإحيائها من جديد في الشروط الجمالية والإيديولوجية للثقافة السائدة، بالإضافة إلى شرط السياق.
- يشترط فهم الاستعارة وترجمتها معرفة مشتركة للقواعد اللسانية لجماعة لغوية معينة.